2004 04 14 - 0018 - f

الشباب اللبناني وذكرى الحرب: 13 نيسان 1975

اعداد نايلة تويني

متطوعون في الصليب الاحمر اللبناني زمن الحرب:

استشهد بعضنا وحملنا الجثث والأجساد المقطعة والصور المأسوية حافز للشباب لعدم تكرار التجربة

اجمع شباب تطوعوا في الصليب الاحمر اللبناني خلال الحرب على ان شارة الجمعية كانت مقبولة من جميع الفرقاء لانها مؤسسة محايدة، وقد اثبتت صدقيتها لانها كانت تساعد جميع الاطراف ولا ترفض خدمة احد. لكن ذلك لم يمنع بعض الخروق من عناصر مسلحة واعمال فردية ادت الى سقوط 13 شهيداً و180 جريحاً.

واللافت ان متطوعي الصليب الاحمر ظلوا يتجاوزون الحواجز والمعابر. وكانوا على اتصال دائم بكل الاطراف المتحاربين ويلاحظ الذين تحدثنا اليهم ان عدد المتطوعين كان كبيراً في الحرب وكان الاهل يشجعون اولادهم على الانتساب الى الصليب الاحمر بدلاً من الانتساب الى الاحزاب. لكن الواقع تبدل انخفض عدد المتطوعين كثيراً بعد الحرب.

يقول بسام المقداد الذي تطوع عندما كان في السابعة عشرة وكان يخدم في منطقة المريجة في الضاحية الجنوبية: "مرة اطلقوا النار على سيارة الصليب الاحمر واصبت في رأسي واصيب ثلاثة مسعفين معي".

وبعدما سمح لنا بالمرور عند احد الحواجز اطلقت علينا النار وبدأت الصراخ اننا من الصليب الاحمر فنزلنا من السيارة واختبأنا في احدى الزوايا. فقال لي رفاقي انني مصاب في رأسي ونظرت اليهم لاجد ان كلا منهم مصاب في مكان ما. وبدأ واحدنا يجري الاسعافات الاولية للاخر وتنبهت الى نقطة دماء على يد المسعف الاساسي بيننا وعلى ثيابه ليتبين انه مصاب في صدره وفي ثوان سقط على الارض وتوفي وهو يقدم خدمته الى زملائه. حينئذ اقترب منا المسلحون ونقلونا في سيارة الى المستشفى. هذه القصة عشتها شخصياً وقد رسخت في ذهني.

عبدالله الفتح وبسام ضاهر في انتشال جثة متفحمة.

قصة اخرى عشتها شخصياً: "كان ممنوعاً ان نرفض طلباً لاحد. وقد طلبت منا جماعة مرافقتها لان عناصرها يريدون قتل شخص باطلاق النار عليه. وعلينا ان ننقله لاحقاً الى اهله او الى براد مستشفى لم نكن نعلم. وحين بلغنا المكان المقصود رأينا ثلاثة اشخاص مكبلين وجالسين على الارض، وانتظرنا ان يطلقوا عليهم النار لكنهم صفوهم بان فجروا بهم عبوة ادت الى مقتلهم على الفور، كان مشهداً مأسوياً لا يمكنني ان انساه".

ويضيف بسام المقداد: "انتشلت الكثير من الضحايا، لا اتذكر العدد. في بعض الاحيان كنا نحشر في منطقة بين طرفين، وذات مرة كانت السيارة في الوسط وكنت اريد نقل ضحية فقال لي المسلح سأقتلك اذا اقتربت في هذا الاتجاه فلزمت مكاني حتى اتمام اتصالات ومفاوضات كنا نواجه الكثير ونعيش الخطر كل لحظة.

اما عبد الرؤوف سلام، في عمر 27 سنة "كنت اريد ان اعمل شيئاً لم يكن يمكنني حمل السلاح. لم اكن ارغب في ذلك ووالدي كان يرفض بشدة، فقررت محاربة الحرب بسلاح الصليب الاحمر اللبناني".

ويروي سلام: "كنا نحاول ايصال مسعف زميل الى منزله في المنطقة الاخرى وفي اثناء العودة تم ايقافنا على احد المعابر واستجوبونا ووضع احدهم سلاحه على خدي، لم يكن في مقدوري فعل شيء وخلت اني سأموت. ولاحقاً اقترب زميل له وطلب ان يسمح لنا بالمغادرة، وبعد فترة قصيرة ذهبنا لنقل مريضة من منزلها الى المستشفى فاكتشفت انها والدة الشخص الذي هددني

بسام المقداد ينقذ مصاباً في الحرب.

بالقتل. لا انسى تلك الحادثة".

ويروي عبد الرؤوف من ذاكرة مليئة: "عندما كنت اتجاوز اي معبر للمرة الاولى اشعر برهبة لكني كنت اطمئن الى اثر الشارة رغم ان البعض لم يكن يحترمها.

في ايام الحرب تعرّفت على كل المناطق اللبنانية بسبب عملي في الصليب الاحمر وتنقلي. كنت لا اخاف الموت، وكان لدينا امر بالتخلي عن السيارة اذا تعرضنا للخطر الشديد.

وعن العبرة عن الحرب يقول سلام: "الحرب فيلم مأسوي كتب الكثير ورأيت الكثير واتمنى ان يأخذ الجميع عبرة من تلك المأساة حتى لا تتكرر، ويتكرر معها منظر الجثث المتناثرة التي انتشلت الكثير منها، وفي بعض الاحيان كنا نبحث عن اماكن في المستشفيات لتكديس الجثامين. كانت مناظر مرعبة.

ورغم كل شيء فانا مستعد، اذا نشبت حرب من جديد ان اكمل تطوعي في الصليب الاحمر وآخذ ابنتي لتساعدني.

لن اهرب، بل على العكس اشجع اولادي على التطوع في الصليب الاحمر، فانا لا اخاف الموت لا ارهبه ولا اخاف على اولادي من خوض المغامرة".

ويقول بسام الضاهر الذي انتسب الى مركز جونيه عندما كان في عامه العشرين، ان لديه الكثير من الذكريات. "عشنا 17 سنة من الحرب، وكنت انتشل الكثير من الضحايا. وهذا شعور مريع لكن في الوقت نفسه شعور بالبطولة.

في احد الايام كنت بين طرفين وبدأ اطلاق للنار الذي كنا اعتدنا عليه خلال الحرب وكنا قد تجاوزنا مرحلة الخوف منه في مقابل خوفنا من الانفجارات والقصف العشوائي.

ويقول عبد القادر فنج الذي

وعبد الرؤوف سلام يساعد جريحاً وسط الركام.

دخل المؤسسة وهو في الـ20 وكان يخدم بداية في طرابلس: "اتذكر عندما انقذت ولداً في عامه السادس واخذته الى المستشفى ومات بين يدي. لا استطيع ان انسى ما حصل. لقد ترك موته اثراً في نفسي لا يزال مستمراً".

ويقول فنج: "المناظر كانت فظيعة لكن وللاسف اعتدنا عليها مع الوقت. كنت اخاف الموت وهذا شعور طبيعي. ووصلت الى فترة لم اعد اقوى فيها على التحمل".

ويضيف: "في ايام الحرب يصبح الانسان "رخيصاً"، والذي يشعر بهذا الشيء هو عنصر الصليب الاحمر الذي غالباً ما يحتجز في منطقة وسطى بين المتصارعين وبين الجثث التي لا قيمة لها وسط الركام. وتصبح المفاوضة على فتح طريق لانقاذ حياة انسان او الحكم عليه بالموت بسبب اصرار مسؤول ميليشيوي على عدم ازاحة حاجز".

ويقول بأسى: "من ابشع المشاهد ان ترى انساناً مثلك محروقاً او ممزق الجسد. في اكثر الاوقات كنت افكر في اهل هؤلاء الشباب وكيف سيكون وقع الخبر عليهم".

معان وعبر

خبرات قليلة العدد عزيزة المعنى والعبر والدروس للحرب والتطوع. فمتطوعو الصليب الاحمر يعطون من نفوسهم من دون مقابل. وهذا فخر لهم على ما يقولون خصوصاً انهم استطاعوا في زمن الحرب تأمين الخدمة من دورن تمييز وفرز مناطقي وطائفي وسياسي. ويروي القدامى للمتطوعين الجدد خبرتهم ومآسيهم خلال الحرب وينصحون اولادهم بالتطوع في الصليب الاحمر لان خبرتهم احيت فيهم روح البطولة والوطنية والروح الانسانية الخادمة والمحبة للجميع.

ميلاد انطونيوس من "القوات اللبنانية":

لم يكن لدينا الوقت للتفكير في حياتنا ومستقبلنا مستعد لحرب جديدة لان الاستسلام مرفوض

قاتل ميلاد انطونيوس مع الكتائب ولاحقا مع "القوات اللبنانية"، اصيب برصاصة اقعدته لكن ذلك لم يضعف ايمانه بقضيته رغم نصيحته لابن شقيقته بعدم الانتساب الى الاحزاب وتجنب القتال والحرب.

هنا شهادة ميلاد انطونيوس عن الحرب:

عندما بدأت الحرب كان عمري 13 سنة ولم اكن اعرف الاحزاب لكني اضطررت لان احمل السلاح لادافع عن منطقتي. كنّا نحرس لمنع احزاب اخرى من الدخول الى بلدتنا مجدل المعوش وامتدت هذه الفترة حتى سقوط الدامور.

بعدها صار الوضع خطرا في المنطقة وبدأت حالات الخطف. وبما ان عائلتنا كانت في "حزب الكتائب اللبنانية" فقد ارسلوا الينا من قيادة الحزب اشخاصا ليدربونا، وفرحنا كأولاد بتلك الدورات التدريبية التي علمتنا استعمال السلاح.

هكذا بدأت اتعلم كيف احارب.

وبعد تعرض شقيقي للخطف وإعادته لم يعد يقصد المنطقة لانها "كانت يسارية"، الى ان نصحني اخي بالنزول الى بيروت وهناك التحقت بقسم كتائب الشوف.

ميلاد انطونيوس.

وبين الكتائب والحواجز والجبهات لم اعد اركز على متابعة دروسي وتابعت التدريب مع الشباب وصرت اساهم في دعوة الشباب الى ترك قراهم والتوجه الى بيروت للتدرب على القتال.

كانت ايام صعبة جدا حتى عام 1980 وخضعنا لدورة وحدات ثم لدورة مدرعات عام 1982 والتزمت كليا في "القوات اللبنانية". وابتعدت خلال حرب سمير جعجع وايلي حبيقة لانني رفضت فكرة محاربة شخص كان يقف الى جانبي في السابق.

وفي "حرب التحرير" عام 1989 اصبت برصاصة خاطئة انطلقت من بندقية احد الرفاق مما اصابني بشلل نصفي.

ويضيف ميلاد انطونيوس: قاتلت مع "القوات اللبنانية" في اماكن عدة منذ عام 1978 وحتى 1986. في البداية قاتلت ضد الفلسطينيين وضد بعض الجماعات الاسلامية التي وقفت مع الفلسطينيين. وقد حاربنا للمحافظة على وجودنا.

ويصف انطونيوس شعوره: المرحلة الاولى كنت اخاف مثل لاعب رياضي قبيل انطلاق مباريات او مثل فنان قبل صعوده على خشبة المسرح، ومن ثم كنت اخرج وانسى كل شيء. لم اكن افكر في مستقبلي وفي حياتي في حينها، كنت افكر في كيفية اقتحام منطقة اخرى لتأمين مساحة اوسع لتحقيق الاهداف والمشاريع التي نعمل لاجلها. لم يكن لدينا وقت للتفكير في حياتنا او في مستقبلنا. كل واحد يشعر بالخوف ولكن الحماسة التي تسيطر على المقاتل تغلب الشعور بالخوف.

وردا على سؤالنا عن نظرته الى الآخر يقول انطونيوس: طبعا نظرتي الى الآخر كانت على انه عدو وقتله ليس مجرد قيام بواجب وانما كان اقتناعا، كنت اريد الدفاع عن لبنانيتي ومنع اي احتلال لبلدنا.

وعن لقائه بالآخر يقول: "بعد الحرب التقيت مقاتلين من الطرف الاخر لكننا لم نتكلم عن الحرب وتفاصيلها. في بعض الاحيان يتحدث البعض عن اسباب الحرب ويعتقد البعض اننا سبب الحرب اي ان كل طرف يتهم الآخر. نناقش الموضوع لكن من الصعب اقناع اي شخص بطريقة تفكيرنا والعكس صحيح.

وعن المستقبل يقول: اتحدث دائما الى ابن شقيقتي وانصحه بالا يحارب لأن الايام تغيرت والاحزاب ما عادت مثل ايامنا. فايام الحرب ليست سهلة ومن الصعب حتى تذكرها. وعندما اتحدث الى ابن شقيقتي لا انصحه بالانتساب الى اي حزب لأني اعتبر ان الاحزاب تحولت مصالح شخصية.

وعن الخوف من حرب جديدة: انا مستعد لخوض حرب جديدة اذا كانت مثل الحروب الماضية، اقاتل وبشراسة. شرف كبير لي اني حملت السلاح دفاعا عن قضية. لم اندم ابدا بعد اصابتي لكن من الطبيعي ان حياتي تغيرت واحتجت الى وقت لكي اتأقلم مع وضعي.

من الصعب ان ارى نفسي على كرسي انا الذي يملك العنفوان الكبير. لكن حالتي المستجدة كانت في ولادة جديدة، وتأكدت من ذلك عندما التقيت صاحب شركة شجعني على العمل وبدأت مسيرة جديدة في حياتي عام 1991.

واخيرا: رسالتي الى شباب اليوم ان لا يخافوا من ضربة كف او من خرطوم المياه". عليهم ان يدافعوا عن وطنهم لبنان مثل الشهداء الذين دافعوا عن هذا البلد، والذي بذل دماء دفاعا عن الارض يعرف قيمة ترابها. ليس من المفروض ان يرضوا بالذل وعليهم ان يطالبوا بالاستقلال الحقيقي والكامل. وادعو شباب اليوم الى عدم الاستسلام وان يكون لديهم قضية ويدافعوا عنها.

حسن قبلان من حركة "أمل":

ليس في ذهننا آخر يجب نفيه أو قتله بل محاورته ومآسي الحرب ماثلة في القرى المهجرة وفي تأخر النمو

حسن قبلان، عضو الهيئة التنفيذية لحركة "امل" والمسؤول عن مكتب الشباب والرياضة فيها، عايش الحرب عن كثب، رغم قوله انه لم ينخرط فيها مباشرة. ركز في شهادته على الجانب الاسرائيلي من معارك "امل" متجنبا الخوض في تفاصيل حروب الشوارع، وهنا شهادته:

انتسبت الى الحركة عام 1976. قبل ذلك التاريخ كنت انتمي الى تنظيم يدور في فلك الامام موسى الصدر يدعى تنظيم "جبهة المجاهدين المستقلين" الذي شكل مرحلة سبقت الوصول الى حركة "امل" آنذاك.

عشت تجربة الحرب اللبنانية وما زلت استحضرها لحظة بلحظة منذ استشهاد الراحل معروف سعد وايضا معارك 1973 بين الجيش اللبناني والمخيمات.

عشت مراحل الحرب كلها وهي حاضرة في ذاكرتي ومكتبتي.

وكانت غالبية المنتمين الى الحركات والاحزاب من فئة اليافعين الذين لم تكن تراودهم احلام كبيرة بتأسيس اسرة وقد بثت فيهم العناوين والشعارات السياسية ومناخ المنطقة وظروف المرحلة نوعا من الحماسة والاندفاع اللذين يجعلان الانسان يتجاوز الاهتمامات المباشرة، خاصة في مرحلة الاحتلال الاسرائيلي على وجه التحديد، ومجابهة هذا الاحتلال والتصدي له.

ومن عناوين تلك المرحلة التخلص من الاحتلال واسقاط اتفاق 17 ايار، انتفاضة 6 شباط، التصدي للعدو على بوابة خلدة،والعمليات التي كانت تتم في الجنوب كلها محطات تجعل الانسان يتفانى غي خدمة المشروع الذي يؤمن به. لذلك لم نكن نخاف من الموت ولم نكن حينها نفكر في المستقبل.

ركزنا على محاربة العدو الاسرائيلي. اما اذا كان المقصود بالآخر اطراف الحرب اللبنانية فاني افاخر بالقول اننا ننتمي الى مدرسة لم يكن في سلوكياتها اي تصرف ضد هذا الآخر باعتباره خصما بل باعتباره شريكا في الوطن. عام 1975 عندما اتخذ القرار بعزل الكتائب رفض الامام الصدر الخطوة وبقيت العلاقات وقنوات الاتصال قائمة في اسوأ مراحل الحرب وكنا نؤمن بأن هذه الحرب ستنتهي، ولم نكن نخوضها ضد طوائف او مناطق اخرى لكن في سياق الحرب التي افرزت اناسا مع الاحتلال او ضده.

وقد تصدينا حكما لمن حاول ان يربط لبنان بعجلة السياسة الاميركية والاسرائيلية. وفي اول فرصة للوفاق وللسلم انخرطت حركة "امل" في تلك المحاولة اي في الاتفاق الثلاثي وقبله في محادثات جنيف ولوزان، واخيرا في اتفاق الطائف اذ كنا من اول القوى التي سلمت بمنطق السلم والامن والوحدة الداخلية واقفال ملف الحرب. ليس في ذهننا آخر يجب ان ينفى او يقتل اذ لا لبنان من دوننا ومن دون الاخر. هذه اقتناعاتنا بغض النظر عن الظروف. حتى في الحرب كنا نؤمن بأننا سنلتقي ونكمل مسيرة بناء الوطن.

ويقول قبلان: لا اتحدث مع اولادي عن الحرب الا ما يتعلق بالاحتلال الاسرائيلي. وارييهم على مقولة ان اسرائيل كيان احتل ارضنا وما زال يحتل جزءا منها. وهو قائم على نظرية الفاء شعب وطرده من ارضه. ونحن نعتبر ان صفحة الحرب الداخلية طويت تماما.

لا امانع ان يحارب اولادي ضد العدو الاسرائيلي اذا ما اعتدى مجددا على لبنان. لكن اي تباعد او تناقض داخلي يجب ان يحل بالهدوء وبالحوار وتحت سقف الانتماء الوطني.

وعن العبرة من الحرب يقول قبلان: "رسالتي الى شباب اليوم ان نتعظ من ويلاتنا وان نؤمن بأن بلدنا دفع ضريبة غالية وتأخرت مسيرة ازدهاره ونموه طويلا. ان مآسي الحرب ما زالت حاضرة امام انظارنا وتحديداً في ملف المهجرين وفي القرى التي لم يعد اليها اهلها.

واطلب من الشباب ان لا ينساقوا الى دعوات التحريض وان يجروا قراءة هادئة وباعصاب باردة للمعطيات السياسية وللمرحلة التي يمر بها البلد وللظروف الاقليمية.

واعتبر ان اي رهان على متحولات خارجية اقليمية كبرى لم ينتج الا المزيد من الخيبات.

نلتقي مع الجميع تحت سقف العناوين الاجتماعية والمطلبية ومع حق كل انسان في التعبير عن رأيه لكن دون المخاطرة بمستقبل البلد.

ودعا الشباب الى "التمييز بين الصديق والعدو، وبين الذي وقف مع وحدتنا وساعدنا في تحرير ارضنا والذي ساهم في خراب البلد.

(من كتاب زافين قيومجيان)

قبلان متحدثاً الى "النهار". (مروان عساف)

مدرسة طرابلس الانجيلية للبنات والبنين
شارع الزاهرية – طرابلس تلفون: ٠٦/٦٢٦٩٢٠ – ٠٦/٤٤١٦٠١
تعلن عن بدء التسجيل في جميع الصفوف من الحضانة وحتى الثانوي الثاني وذلك ابتداءً من ١٩ نيسان ٢٠٠٤.
تجري المقابلة وامتحانات الدخول كالتالي:
لصفوف الحضانة والروضات – حسب الموعد المحدد على طلب الانتساب.
للابتدائي الاول وما يليه – الدورة الاولى ١٢ تموز ٢٠٠٤
– الدورة الثانية ١٥ ايلول ٢٠٠٤
بالامكان الحصول على طلبات الانتساب من دائرة التسجيل خلال الدوام الرسمي

صدر حديثاً
بعد عقود على فقدانه من المكتبات
ميشال الحايك
المسيح في الإسلام

الطبعة الثالثة المطابقة للطبعة الثانية المنقحة والمكملة (١٩٦١)
• • • •
المسيح في القرآن. زكريا ويحيى المعمدان. مريم البتول.
المعجزات. الحواريون. المواعظ. امام السائحين.
رفع المسيح ونزوله في آخر الزمان.

صدر حديثاً
كتاب في قلب الحدث
طارق متري
مدينة على جبل؟
عن الدين والسياسة في أميركا
مقدمة غسان تويني
القوى الدينية المحافظة والمتدينون الليبراليون
• • •
الإنقسام البروتستانتي في أمر اسرائيل
• • •
الإنجيليون المحافظون والمحافظون الجدد
وجماعات الضغط اليهودية
www.daramishar.com tel: 01/561693 fax: 01/561693
www.adabdar.com tel: 01/751480 fax: 01/751481

لبنان... فلبنان

اعتمدنا في التفتيش عن بعض المحاربين والصور على كتاب الزميل زافين قيومجيان "لبنان فلبنان" الذي وثق فيه مراحل من تاريخ الحرب. وقد أبدى قيومجيان تعاوناً كاملاً. شكراً.